مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
Eissn :2600-6421 Issn : 2353-0464
المجلد 10 / العـدد: 2 (2022)، ص:56-68

البنية الصوتية والايقاعية في قصيدة " تعالي لنرسم معا قوس قزح " لسميح القاسم

أ/ علاق هالة[1]
[1]جامعة الجزائر 02 - الجزائر

تاريخ الاستلام 2022/05/17 تاريخ القبول: 20 /2022/05 تاريخ النشر: 2022/06/01

ملخص :

تحاول هذه الدراسة أن تتناول المستوى الايقاعي في قصيدة سميح القاسم الموسومة ب " تعالي لنرسم معا قوس قزح " من خلال الوقوف على إيقاع الوزن وعلى القافية والروي وبيان دلالته في النص ، كما تقف على الأصوات المهيمنة على النص الشعري مبينة معانيه المتصلة بالشاعر والواقع الفلسطيني ، وكذلك التكرار المتعلق بالإيقاع والأصوات الذي يؤكد على الصمود في وجه العدد الصهيوني ، فالإيقاع جزء لا يتجزأ من مضمون النص وشكله في الوقت نفسه .

الكلمات المفتاحية : الإيقاع ، الوزن ، القافية ، التدوير ، سميح القاسم .

Cette étude tente de traiter le niveau rythmique dans le poème de Samih Al-Qasim, qui est étiqueté avec "Venez, dessinons l'arc-en-ciel ensemble" en se tenant sur le rythme du mètre et de la rime et de la narration et en clarifiant sa signification dans le texte. Répétition liée au rythme et aux sons, qui met l'accent sur la constance face au nombre sioniste .Le rythme fait partie intégrante du contenu et de la forme du texte à la fois.

Mots-clés : rythme, rime, rotation, Samih al-Qasim

المؤلف المرسل: أ/ علاق هالة

المستوى الصوتي:

1/ الموسيقى الخارجية:

يندرج الإيقاع الموسيقي للقصيدة في اطار وزن محدد هي تفعيلة بحر الرمل " فاعلاتن " سمي هذا البحر رملا لأن الرمل نوع من الغناء يخرج من هذا الوزن وقيل لسرعة النطق به لتتابع فاعلاتن فيه لأن الرمل لغة يطلق على الإسراع في المشي ، وقيل سمي رملا لدخول الأوتاد بين الأسباب وانتظامه كرمل الحصير أي نسجه " [1]

1/ التفعيلة واستعمالاتها ومعانيها في النص :

نازلا كنت على سلم الأحزان الهزيم

0/0//0/ 0/0/// 0/0/// 0/0//0/

فاعلاتن فعلاتن فعلاتن فاعلاتن

لم أكن وحدي

0/ 0/0//0/

فاعلاتن فا

ووحدي كنت في العتمة وحدي

0/0/// /0//0/ 0/0//

علاتن فاعلاتن فعلاتن

راكعا أبكي أصلي أتطهر

0/0/// 0/0//0/ 0/0//0/

فاعلاتن فاعلاتن فعلاتن

[1] / علم العروض وتطبيقاته ، محمد مصطفى أبو شوارب ، ص 211

أحيانا نجد أن تفعيلة " فاعلاتن "تطغى على بعض الأسطر وأحيانا أخرى تطغى تفعيلة "فعلاتن " على الأسطر الأخرى ، وأحيانا نجد تساويا بين التفعيلتين "فاعلاتن " "فعلاتن " .

التعليل :

إن "فاعلاتن " الصحيحة تدل على قوة المقاومة لدى الشاعر ،أما "فعلاتن " المعلولة فهي تدل على ضعف هذه المقاومة ، فالصحيحة تدل على قوة الثورة وقوة الصمود والتصدي والأخرى تدل على ضعفها ، ولكن يبدو من خلال عملية الإحصاء أن الصحيحة "فاعلاتن " تغلب على النص مما يدل على أن الأمل يغلب على اليأس ، وأن العراقيل التي تقف أمام الثورة سوف تزول وتنتهي أمام شدة الثورة وقوتها . وهذا يعكس أن الشاعر في موقف قوي يؤهله على الصمود أمام العدو و يؤهله للنصر.

التدوير:

" فالتدوير قديما عبارة عن انقسام الكلمة الى جزأين بين نهاية صدر البيت الشعري وبداية عجزه ، أما التدوير في شعر التفعيلة فقد اختلف مفهومه فهو انشطار التفعيلة الى جزأين لا الكلمة فيكون أولهما في نهاية السطر الشعري وما تبقى منها في بداية السطر الذي يليه ، اذ يشكل جزءا التفعيلة المدورة رابطا ايقاعيا بين السطرين يحدث نوعا من التلاحم والاستمرارية اللغوية " [2]

نلاحظ في القصيدة تدويرا أحيانا في بعض الأسطر مثل :

لم أكن وحدي

0/ 0/0//0/

فاعلاتن فا

ووحدي كنت في العتمة وحدي

[2] / دلالة لإيقاع وايقاع الدلالة في الخطاب الشعري الحديث ، موفق قاسم الخانوني ، دار نينوى ،ص127

0/0/// 0/0//0/ 0/0//

علاتن فاعلاتن فعلاتن

كان صدري ردهة

0//0/ 0/0//0/

فاعلاتن فاعلا

كانت ملايين مئة

0/// 0/0//0/ 0/

تن فاعلاتن فعلن

سجدا في ردهتي

0//0/ 0/0//0/

فاعلاتن فاعلا

كانت عيونا مطفأة

0//0/ 0/0//0/ 0/

تن فاعلاتن فاعلن

فتفعيلة فاعلاتن في السطر الأول لم تكتمل إلا في السطر الثاني وكذلك السطر الثالث والرابع والخامس ، فهناك تدوير يربط هذه الأسطر الشعرية بعضها ببعض حتى تكتمل تفعيلة فاعلاتن ، وباكتمال التفعيلة يكتمل المعنى وباتصال هذه الأجزاء تتشكل دلالة السطر الشعرية .

وقد لاحظنا في القصيدة خروج الشاعر من السطر الشعري الى شعر الشطرين ، فهو يخرج من إيقاع التفعيلة الى إيقاع البحر كما في هذا المقطع

قلت لي : في أي أرض حجرية

بذرتك الريح من عشرين عام

قلت : في ظل دواليك السبية

وعلى أنقاض أبراج الحمام

قلت : في صوتك نار وثنية

قلت : حتى تلد الريح الغمام

فهذه الأبيات هي أبيات متساوية التفعيلات داخل القصيدة الحرة بحيث نجد ثلاث تفعيلات في كل سطر أي ستة تفعيلات في كل بيت .

القافية :

" هي عدة أصوات تتكرر في أواخر الأشطر أو الأبيات من القصيدة وتكررها هذا يكون جزءا هاما من الموسيقى الشعرية ، فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع ترددها ليستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الأذان في فترات زمنية منتظمة . فمن السهل أن تقول إن القافية لا يصح أن تقل عن عدد كذا من الأصوات تتردد في أواخر الأبيات وليس من السهل أن تزعم أن عدد أصواتها لا يزيد عن قدر معين لأنه لو أمكن أن تتكرر أصوات نصف شطر دون إخلال بالمعنى ودون تكلف أو تعسف لصح أن تسمى كل تلك الأصوات المكررة قافية " [3]

القافية نوعان : مطلقة ومقيدة ، بالنسبة الى القافية في قصيدة " تعالي لنرسم معا قوس قزح " مقيدة لأن معظمها تنتهي بالسكون ونلاحظ في قصيدة سميح القاسم تنوعا في القافية ويتمثل فيما يلي :

يمه ، طيء ، ضيء ، يده ، رير ، بير ، يمه ، زمن ، وطن ، بير ، غير ، رار ،تتار ، غضب ، عرب ، ريه ، بيه ، نية ، حمام ، غمام ، ريح ، سيح

القافية معظمها مقيدة وهذا يدل على أن هناك ظروفا تحول دون انطلاق الشاعر وحريته وتعبر عن حالة الاستعمار ، فالشاعر يعيش تحت سيطرة الاستعمار الصهيوني .

الروي :

[3] / موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ، مكتبة أنجلو المصرية ،ط7 - 1997، ص 247

أقل ما يمكن أن يراعي تكرره وما يجب أن يشترك في كل قوافي القصيدة ذلك الصوت الذي تبنى عليه الأبيات ويسميه أهل العروض بالروي فلا يكون الشعر مقفى الا بأن يشتمل على ذلك الصوت المكرر في أواخر الأبيات " [4]

تنوع الروي في هذه القصيدة كثيرا وتمثل فيما يلي :

الهمزة ، الياء ، الراء ، النون ، الباء . الميم ، الحاء ، الدال ، اللام ،

الروي الأكثر شيوعا في القصيدة هو روي الراء

خصائص الراء :

هو حرف تكراري ومجهور بين الشدة والرخاوة " [5]،يدل على الاستمرارية ولكن الراء ساكنة وهذا يدل على أن المقاومة معرقلة بجملة من القيود والصعوبات ، فالمقاومة مستمرة والعراقيل مستمرة أيضا .

أما الروي الثاني فهو الدال وهو صوت شديد ومجهور"[6]، وقد وردت الدال ممدودة حينا بالياء ومكسورة وهذا يدل على الاستمرار والاتساع والانتشار ، ولكن الكسر يدل على انكسار نفسية الشاعر والشعور بالخيبة والهزيمة ومعنى ذلك أن هناك قيدا .

أما روي النون فصوت مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة " [7]، وقد وردت في النص ممدودة وهذا يعني الامتداد والاتساع .

أما الميم فصوت مجهور لا هو بالشديد ولا بالرخو " [8]، وقد وردت مسكنة كثيرا في النص ويعني ذلك وجود قيود .

---

[4] / المرجع السابق ص 248

[5] / الأصوات العربية ،إبراهيم أنيس ، مكتبة أنجلو المصرية ،2007، ص 66

[6] / المرجع نفسه ص 49

[7] / المرجع نفسه ، ص 66

[8] / المرجع نفسه ، ص 46

تعدد الروي يعبر عن حالات الشاعر المتعددة أيضا والمتراوحة بين الشعور بالانكسار والشعور بالأمل والشعور بالخيبة والشعور مرة بالقوة ومرة بالضعف وبالضيق مرة وبالاتساع مرة أخرى .

واذا كانت القصيدة تبدأ بالهزيمة من السطر الأول وتمتد هذه الهزيمة في وسط القصيدة فان النص ينتهي بالأمل والبحث عن ولادة جديدة .

يمكن أن نميز عددا من الأشكال في استعمال الروي :

شكل أب أب : ورد كثيرا في القصيدة ومن أمثلة ذلك ما يلي :

1/ نازلا كنت على سلم أحزان الهزيمة

نازلا يمتصني موت بطيء

صارخا في وجه أحزاني القديمة

أحرقيني أحرقيني .....لأضيء

2/ وكان الحزن مرساتي الوحيدة

يوم ناديت من الشط البعيد

يوم ضمدت جبيني بقصيدة

عن مزاميري وأسواق العبيد

وهذا التناوب بين رويين يلعب دورا في إغناء الإيقاع وتقويته وبخاصة أنه موجود بكثرة في النص ، كما أن هذه الثنائية "أب أب " تقترب من الغناء الذي يقوم على قطبين متجاذبين وهذا يكشف عن تأثير الشاعر الفلسطيني "سميح القاسم " بالأغاني الشعبية .

الشكل الثاني أب ب أ : ومن أمثلة ذلك في القصيدة ما يلي :

1/ وتحدثنا عن الغربة والسجن الكبير

عن أغانينا لفجر في الزمن

وانحسار الليل عن وجه الوطن

وتحدثنا عن الكوخ الصغير

التحليل :

معناه أن الراوي الأول يبدأ به ويختم به وهذا تأكيد على الدلالة وعلى الثبات على نغمة واحدة هي الراء كحرف تكراري هدفه الاستمرارية والثبات

وظيفة الإيقاع :

المنطق الأساسي لهذه الدراسة هو أن لغة الشعر تعيد تنظيم اللغة العادية ،واذا كنا قد اقتصرنا على المستوى الصوتي للغة باعتباره المكون الأساسي للايقاع فان هذا لايعني أن هذا القانون لا ينطبق على بقية المستويات اللغوية ، ان إعادة النظام تشمل مستويات اللغة كافة : الصوتي والصرفي ، النحوي والدلالي " [9]

2/ الموسيقى الداخلية :

أ/ نلاحظ في هذه القصيدة أن حركة الكسرة هي التي تطغى ، ومعنى ذلك أن الشاعر يعاني انكسارا وخيبة على أنه لم يستسلم للهزيمة وبقى يقاوم ويحلم بالغد الجميل وبالنصر

الحروف المهيمنة على القصيدة هي :

أ تكررت 123 مرة

ن تكررت 98 مرة

ر تكررت 60 مرة

م تكررت 47 مرة

ت تكررت 60 مرة

ب تكررت 50 مرة

و تكررت 53 مرة

[9] / الإيقاع في شعر السياب ، سيد بحراوي ، نوارة للترجمة والنشر ،ط1 ،1996ص 29

س تكررت 30 مرة

ه تكررت 33 مرة

ف تكررت 33 مرة

ح تكررت 38 مرة

ل تكررت 44 مرة

خصائص هذه الحروف : [10]

الحرف	دلالته
أ	صوت مهموس منفتح حنجري
ب	صوت شفوي شديد مجهور منفتح
ن	صوت لثوي متوسط مجهور أنفي منفتح
ر	صوت لثوي متوسط مجهور تكراري منفتح
م	صوت شفوي متوسط مجهور أنفي منفتح
ت	صوت أسناني لثوي شديد مهموس منفتح
و	صوت شفوي متوسط مجهور شبه طليق
س	صوت أسناني لثوي رخو مهموس منفتح
ه	صوت حنجري رخو مهموس منفتح
ف	صوت شفوي أسناني رخو مهموس منفتح
ح	صوت حلقي رخو مهموس منفتح
ل	صوت لثوي متوسط مجهور حافي منفتح

هذه الحروف تتراوح بين الجهر والهمس وبين الشدة والرخاوة وهذا يفسر لنا أن القصيدة تعكس الهمس نتيجة الشعور بالآلام والخيبة ، فالهمس يتأتى من الضيق والشدة التي يعاني منها الشاعر ، أما الجهر فهو يدل على ارتفاع صوت

[10] / الوجيز في فقه اللغة ، محمد الأنطاكي ، مكتبة دار الشرق ، ط 3 ، ص 181،182،183،184،185

الشاعر عاليا اعلانا عن قضيته وتغلبه على المصاعب وهو دليل أيضا على غلبة الفرح على الحزن المقترن عادة بالهمس فالقصيدة من هنا تتراوح بين الشدة والانفراج وبين الهمس والجهر ، تتراوح بين الشعور بالخيبة والشعور بالأمل ، وهذا يعني أن الشاعر لا يستسلم للظروف الصعبة التي تعرقل حركة المقاومة الفلسطينية ويحاول جاهدا تجاوز الآلام والأحزان مجددا عزمه على النصر متشبثا بالحلم

التكرار :

يتميز أسلوب سميح القاسم بسمة أساسية هي التكرار على مستوى المفردات والتراكيب ، فهو عنصر أساسي لبناء القصيدة شكلا ومضمونا ، فالقصيدة تتشكل من خلال تكرار بعض المفردات والتراكيب ولا تكاد تخلو قصيدة من هذا التكرار ، ويلعب التكرار هنا دورا يتمثل في تأكيد المعاني وربطها إضافة الى اغناء الإيقاع وتأكيده ، ويحقق الانسجام والاتساق في النص .

أ/ تكرار المفردات :

نازلا تكررت 3 مرات

وحدي تكررت 3 مرات

المارق تكررت 3 مرات

القديس تكررت 3 مرات

عينيك تكررت 6 مرات

الهزيمة تكررت 4 مرات

ب/ تكرار الجمل :

نازلا يمتصني موت بطيء تكررت مرتين

واستوى المارق والقديس تكررت 3مرات

الحمام الزاجل في الأقفاص تكررت مرتين

أحرقيني أحرقيني لأضيء تكررت مرتين

أغمضي عينيك تكررت مرتين

ارفعي عينيك تكررت 3 مرات

من تكونين تكررت مرتين

اغفري لي تكررت مرتين

إن التكرار هنا يفسر بحسب السياق فثمة جمل ترد في أول القصيدة ثم تتكرر في وسطها مثل قوله : نازلا يمتصني موت بطيء ، وهو يعبر عن إحساسه بالموت الذي يمتصه شيئا فشيئا مع كل نزول ، وعودة الشاعر الى نفس الجملة تدل على تجدد هذه الحالة معه ، وهذا ما نجده من تكرار (أحرقيني أحرقيني لأضيء) ، فالشاعر يخاطب حبيبته أو وطنه أثر كل شعور بالموت أن تحرقه لينبعث من جديد من رماد الموت ، فالحبيبة هنا رمز للحياة الذي يتعلق به الشاعر عندما يحاصره الموت ، على حين تكررت جملة (استوى المارق والقديس) تباعا في ثلاثة أسطر على سبيل التأكيد ، حيث ضاعت الحدود بين الحق والباطل وكذلك الحال مع تكرار (الحمام الزاجل في الأقفاص ، واغفري لي ومن تكونين) ، ولكن تكرار (ارفعي عينيك) كان يظهر بين الحين والآخر عندما تقوى العزيمة ويضيء الأمل بعكس (اغمضي عينيك) التي تظهر مع المكاره والأزمات

ج/ تكرار مقطع كامل مرتين :

وسآتيك بطفلة

ونسميها طلل

وسآتيك بدوري وفلة

وديوان غزل

وقد تكررت في منتصف القصيدة وفي آخرها للدلالة على الصمود برغم المكاره والتشبث بالحلم والأمل في الانتصار ، وهي قد ربطت بين لب النص وخاتمته بين

ذروة النص الذي كان تشبثا بالحبيبة والوطن وبين تكرار ذلك تأكيدا على الأمل والحلم .

التشاكل والتماثل :

لا يهتم سميح القاسم بالإيقاع الداخلي كثيرا ، فلا نكاد نعثر على جناس عادي أو اشتقاقي تلاعبا بالألفاظ أو احتفالا بالتشابه والتماثل بين الأصوات بصورة عامة ،لأن الشاعر مهتم بالمضمون بالدرجة الأولى فهو شاعر قضية لا شاعر صناعة وشاعر فكرة لا شاعر شكل ، وما نجده في شعره من تشاكل في الصيغ الصرفية فان منبعه التفعيلة أساسا ويظهر ذلك في هذه المفردات التي تتفق في الوزن .

أ / فاعلا نازلا ، صارخا ، راكعا

ب /فعل طلل ، غزل ، وطن ، زمن ، جمل

ج / فعولن هزيمة ، رحيمة ، وحيدة ، قصيدة ، السبايا ، يدايا ، أجيبي ، فميدي ، سجودي

وهذا من شأنه أن يثري إيقاع القصيدة من جهة ويعكس تنوعها الإيقاعي من جهة أخرى لأن الإيقاع الأحادي الرتيب يقتل القصيدة.

وخلاصة لما سبق نسجل أن الشاعر قد اعتمد على بحر الرمل بشكليه الحر والعمودي ، وجاءت في معظمها مقيدة لأنها تنتهي بسكون وهذا يدل على الاحتلال الصهيوني الذي يقيد حركة الفلسطيني كما يدل على الأفق المحدود نتيجة تقييد الحريات في الوطن المحتل . وقد تنوع الروي في القصيدة فتراوح بين الباء والراء والنون والميم والدال واللام ولكن كانت الراء أكثر هيمنة على غيرها مما يعني الحركة المستمرة للمقاومة ولكن سكونها كان يعني الصعوبات التي يواجهها المواطن الفلسطيني في سبيل تحرير وطنه .

وقد تراوحت الأصوات في القصيدة بين الجهر والهمس والشدة واللين مما يعكس الصراع الموجود في نفس الشاعر بين الألم والصراخ وما يجابهه من شدة وقسوة في جهره بقضية العدالة. كما أن التكرار الموجود في النص يعكس لنا إصرار المقاومة على الاستمرار في محاربة العدو حتى النصر . وتعكس القصيدة في نهايتها الأمل رغم أنها بدأت بالمعاناة وسيطر الحزن على معظم أجزائها .